علم الاجتماع وقضايا الوطن العربي

تخصص علم الاجتماع العام

السداسي الثاني: 2020-2021

الأستاذة نسيسة فا/ ز

محاور المقياس:

-مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

-السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي

-النظرية الخلدونية

-السوسيو انثربولوجيا وبناء الموضوع المحلي

-الابستومولوجيا وعلم الاجتماع في الوطن العربي

-الأعمال الامبريقية الكبرى في السوسيولوجيا المحلية

- المحاضرة الأولى: مدخل لعلم الاجتماع في الوطن العربي

مشكلة تحديد ماهية علم الاجتماع

لا تزال مشكلة وضع تعريف محدد لعلم الاجتماع من المشكلات والقضايا التي تواجه الباحثين في علم الاجتماع، هذا بالرغم من مرور قرنين من الزمان على نشأة هذا العلم وترجع طبيعة هذه المشكلات نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة من أهمها:

-تنوع تراث علم الاجتماع وتطوره وتعدد مشكلاته وقضايا المختلفة.

-اختلاف علماء الاجتماع حول طبيعة المحور الأساسي الذي يقوم عليه علم الاجتماع ذاته.

-تباين نوعية النظريات والمناهج والطرق البحث والأساليب التي يتبناها الباحثون على المستوى النظري والميداني عند تناولهم للقضايا وللمشكلات في علم الاجتماع.

-اختلاف الاتجاه الإيديولوجي الذي يعتنقه الباحثون والعلماء عند تحديد الأهداف دراستهم وتناولهم للمشكلات والظواهر الاجتماعية وبالرغم من هذه العوامل وطبيعة مشكلة التعريف لعلم الاجتماع إلا إننا نجد أن هناك ثلاث أنواع أو تصنيفات مميزة لتعريف علم الاجتماع.

إذن علم الاجتماع -اصطلاحا-، هو بحث ودراسة تعنى برصد الظواهر الاجتماعية العامة والخاصة، وتحري دوافعها ونتائجها وانعكاساتها على الظواهر المختلفة.

معيقات علم الاجتماع العربي حسب أراء بعض الباحثين الاجتماعيين العرب.

يعرف علم الاجتماع بأنّه دراسة أكاديميّة للسلوك الاجتماعي، ويستخدم أساليب مختلفة من التحقيق التجريبي لتطوير مجموعة من المعارف حول النظام الاجتماعي، وأسباب التغير الاجتماعي. يقوم العديد من الباحثين بإجراء مجموعة من الأبحاث التي يمكن أن تطبّق مباشرةً على السياسة الاجتماعيّة، ويشمل هذا العلم دراسة المحاور التقليديّة للطبقات الاجتماعية، والدين، والقانون، والنشاط الجنسي، والانحرافات، والعلمانيّة، وتأثرت لاحقاً بمجالات النشاط البشري أثناء تفاعله مع الآخرين لتركّز على مواضيع الصحّة، والطب، والإنترنت، والتعليم.

ومن مصطلحات علم الاجتماع:

- **النسق الاجتماعي**: يحتوي على مصطلحات الوظيفة، والتكامل، والجماعة، والتنظيم، والمجتمع.

- **الثقافة**: تحتوي على مصطلحات النظام، والقيمة، والاتجاه، والمعيار، والانحراف.

- **التفاعل**: يحتوي على مصطلحات الدور، والتنشئة الاجتماعيّة، والصراع.

- **المكانة**: تحتوي على مصلحات التدرج، والحراك، والقوة.

ويذكر أحد المؤرخين لعلم الاجتماع، أنه خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، انقسم إلى عدد من المدارس الرئيسة والفرعية، بحيث أصبح من العسير أن تجد أي قدر من الالتقاء بين علوم الاجتماع المتعددة، فمثلاً كان هناك من يعرف علم الاجتماع بأنه: دراسة العلاقة بين البناء الاقتصادي للمجتمع، والجوانب الأخلاقية، والقانونية، والسياسية، من بنائه العلوي. وهناك من يعتبر موضوع علم الاجتماع: دراسة صور الالتقاء الإنساني.

ومن أسس علم الاجتماع:

- موضوع علم الاجتماع.

- النظرية في علم الاجتماع.

- منهج البحث في علم الاجتماع.

وإذا جاءنا في علم الاجتماع العربي نجد أن المعيقات التي تؤثر على ولادة علم الاجتماع العربي في وجود علمي حسب بعض المفكرين:

ا-حسب فريدريك معتوق:

-العائق النظري: هو راجع إلى الضعف الذي يعيشه المشتغلون بهذا العلم، حيث لا تتعدى أدوارهم النقل وفي هذا الشأن نجده يقول: المثقفون عندنا لا يطالعون النصوص الأساسية للنظريات المطروحة فهم في موقع دوني باستمرار ولا يرغبون في إخضاعها لعملية النقد، حيث إنهم لا يقدرون عليها، فالاستسهال هو العنوان العام للثقافة السوسيولوجية عندنا.

-العائق المنهجي: يتمثل هذا العائق أولا في إهمال بعض الاختصاصات الهامة والناجعة في معالجة بعض مشكلاتنا الاجتماعية كعلم الاجتماع، الاقتصادي، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس.

-العائق الاجتماعي: يقصد بهذا العائق عدم وجود حرية كاملة للمشتغلين بعلم الاجتماع عندنا، حيث طبيعة المجتمع تجعلهم لا يقبلون على بعض المواضيع وهذا رغم حساسيتها وأهميتها، لأنها مواضيع محرمة آو ما يسمى بالطابوهات خاصة تلك القضايا المتعلقة بالدين، المرأة، الثقافة الخ من القضايا الممنوع الخوض فيها.

-العائق السياسي: هناك أزمة ثقة بين العلوم الاجتماعية في البلدان العربية وبين المؤسسات الرمية. والجدير بالملاحظة أن سبب هذه الأزمة ليس حذر القائمين بالأمور السياسية، حيث أن العلوم الاجتماعية كأداة هي سيف ذو حدين يمكن ان نختار الحد الذي يتماشى مع المصلحة العامة بل السبب هو عدو اكتشاف أهميتها في ميدان التخطيط الاجتماعي والاقتصادي.

ب-سمير نعيم:

حيث يرجع عدم ولادة علم الاجتماع داخل الأقطار العربية إلى:

-لم يقدم مفهوما شاملا لطبيعة المجتمع الإنساني بوجه عام أو حتى الإسهام في ذلك.

-لم يقم بأكثر من تعريف فئة محدودة جدا من الجماهير العربية بالتراث الذي يوجد في هذا العلم في المجتمعات الغربية.

-لم يقدم مفهوما للمجتمع العربي وظروفه ومتغيراته وتباياناته المحلية أو القومية أو القطرية.

-لم يقدم إطارا اجتماعيا للتحولات والتغيرات الثورية التي حدثت داخل المجتمع العربي.

-انحياز المشتغلين بعلم الاجتماع إلى النظريات الغربية:

تعتبر هذه الظاهرة من أهم الأسباب التي تقف أمام ظهور علم الاجتماع عربي أصيل قادر على فهم و تحليل أوضاع الأمة العربية، و في هذا الصدد نجد إسحاق قطب يقول: أن احد أوجه التحديات التي تواجه علم الاجتماع في الوطن العربي هو انحياز غالبية علمائه إلى النظريات الغربية التي انبثقت وتطورت و تشكلت في ظروف تاريخية و اجتماعية مخالفة لظروف الوطن العربي واعتمادها على الأساليب المنجية نفسها التي وضعت لتلاءم المجتمعات الغربية اغفل المستخدمون للنزيلات الغربية إنها جاءت في مرحلة معينة من التطور الذي عرفته المجتمعات الغربية، بل جاءت لحل الأزمات التي كانت تعانيها الدول.

-إن الجدل القائم حول عالمية أو خصوصية العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة قد أهدر العديد من الطاقات وكان وراء ضياع عدد لا يستهان به من المشتغلين بهذا العلم.

المحاضرة الثانية: السوسيولوجيا الغربية والواقع العربي

ان علاقة النظرية بالبحث تتعدى مجرد التأطير الفكري و الأخلاقي الى التأثير في المنهج المتبع في الدراسة، اذ هما ليسا منفصلان أو منعزلان عن بعضهما، فالجانب المنهجي يتبع الاطار النظري المختار بل و يخض له، فهي نابعة من حقل معرفي متميز و استجابة لرؤية نظرية معينة لدى الباحث حيث تخضع لعدة عوامل اجتماعية و ثقافية خاصة، لهذا يجب تكييف التقنيات البحثية مع الوسط الاجتماعي و الثقافي.

-النظريات الغربية المهيمنة والبيئة العربية:

تظهر اهمية المخل النظري التصـــوري في تأطير وتنظيم البحث فطريا ومعرفيا ومنهجيا، كما ان الدرجة التعقيد الكبير في النظرية السـوسـيولوجية وتداخل عوامل بنائها وصـعوبة تصـنيفها وتعريفها الامر الذي ادى بالباحث الى ان يصاب بنوع من الاغتراب او الاضطراب عند شروعه في المقارنة بين هذه النظريات والاستفادة من احداها في تفسير واقع معين.

ان معظم النظريات الغربية المهيمنة على التراث النظري والطرق المنهجية للبحث في علم الاجتماع وبقية العلوم الاجتماعية والانســانية الاخرى لغاية اليوم لها ســياقاتها الاجتماعية والفكرية والايديولوجية الخاصة بيئة نشأتها، تمتد جذورها في الواقع الاجتماعي الغربي الى جانب سياق الحياة الشخصية لصاحب النظرية حتى وان ادعى التزام الحياد و الموضوعية فمن التعسف العلمي تعميمها على باقي المجتمعات و ان كانت نظريات شاملة تحاول التوسيع من قدرتها التفسيرية لجميع المجتمعات كالوظيفية و الماركسية.

-ان العلاقة بين النظريات الكبرى و الخلفيات و المنطلقات الاجتماعية لبيئة النشــأة امر واضــح فهي نتاج ملاحظات و دراسات حول المجتمعات الغربية المتقدمة، و التي تخلف عن البيئة العربية بشكل كبير، لذلك قد يصلح بعها الى حد ما لتنظير بحوثنا و قد لا يصلح اكثرها كما قال ليفي لبلوند:

"لا يمكن لأي نبتة مفيدة ان تنمو و تزدهر في جميع المناطق الجغرافية و الظروف المناخية."

فالعلوم الاجتماعية الغربية المهيمنة النابعة من حضارة مختلفة المرجعية و الاسس العقائدية، تظهر الى بقية الثقافات بوصــفها بدائية و تقليدية و متخلفة لهذا ظهر علم **الأنثروبولوجيا** لبحثها و دراســتها لتســهيل الســيطرة عليها، و قد هيمنت النظريات الغربية بفعل التقدم المالي و التكنولوجي اضــافة الى الســيطرة الاســتعمارية التي كرســت تخلفنا العلمي و هذا ما قصــده ابن خلدون بقوله ان المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب و انطلاقا نمن الرؤي الســابقة التي تعتبر ان علم الاجتماع الغربي له نظريات و مفاهيم لا تعبر بشــكل اســاســي على الظروف المجتمعات الغربية، يمكن القول باســتحالة او على الاقل صــعوبة تعميم النظريات و القوانين الاجتماعية الصــادرة منها مع غياب الصــدق الامبريقي في حالة تطبيقها على المجتمعات و ثقافات غير غربية .

من هنا ظهرت حركة علمية تقويمية تنتقد الاطر النظرية الغربية في الغرب نفســه مركزة على اهمية الاعتبارات الواقعية للمجتمعات غير الغربية، حيث انتقدت الانفصــال الكبير بين الواقع و القيم في البحوث تحت ستار الموضوعية و الدقة و المنهجية وصعوبة دراسة القيم دراسة كمية، كما ظهرت محاولات من داخل المجتمعات العربية لإيجاد مدخل نظري خاص، و لكنه ليس معزول عن السياق العام لعلم الاجتماع اي ان يكون متسـقا معه، إلا ان هذه المحاولات لازالت معزولة و غير مسـتمرة نظرا لرسـوخ الرواسـب المعرفية و النظرية الغربية القائمة على قدسـية الفصــل التعسـفي بين ماهو موضــوعي و ماهو ذاتي بين المادي و الروحي.

فظهرت بعض الاســهامات من اجل توطين اي تأصــيل او اســلمة علم الاجتماع لكي يتماشــى مع واقع المجتمعات العربية، وقد طالب مؤيدو هذا المدخل الجديد بضــرورة اصــلاح العلوم الاجتماعية واعادة صياغتها في ضوء التصور المنهجي الاسلامي الذي يتميز بالمبادئ العلمية التالية:

-ان النظريات و مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة و مسلماتها الرئيسية فيها الكثير مما يتعارض او يتناقض مع التصور الاسلامي للإنسان و المجتمع و بالتالي مع واقع المجتمعات العربية التي تتبنى ذلك التصور.

-يترتب عن ذلك التناقض قصــور في الوصــول الى فهم وتفسـير صــحيحين للسـلوك الفردي او للظواهر الاجتماعية و التغبير في العالم العربي و الاسلامي.

-توجد حاجة ماسة الى اعادة النظر في تلك النظريات و المناهج و المسلمات الغربية و صياغتها في اطار التصور الاسلامي .

فأوجه الاختلاف اذا بين المنطلقين الغربي و العربي الاسلامي عديدة -رغم وجود بعض نقاط ألالتقاء لان المعرفة الغربية تحصر طرق العلم و مصادره في المحسوس و الملاحظ، وتلغي كل الافكار و القيم المستمدة من الوحي او النقل و هذا لها عدة خصائص من بينها:

-تعتبر الوجود كله ناتج عن الطبيعة التي اوجدت نفسها و ان الانسان و المجتمع جزء منها.

-العلاقة بين الانسان و الطبيعة هي علاقة صراع دائم.

-العقل هو الطريق الاوحد للمعرفة و المحسوس هو مصدرها.

-القيم و المفاهيم الاخلاقية عبارة عن ظواهر ووقائع طبيعية افرزتها المجتمعات بنفسها، و لهذا فهي متطورة عبر الزمن.

اما التصور الاسلامي للمعرفة فيعتبر الانسان تركيبة من اربعة عناصر هي:

الجسد والروح والعقل والنفس.

و ان سلوكه انعكاس لفطرته التي خلقها الله تعالى و لفهم الانسان و تفسير سلوكياته يجب اخذ هذه العناصر الاربعة بعين الاعتبار ، كما ان قوانين المجتمع نفسه هي تعبير عن فطرة الاجتماع و ليست مكتسبة من البيئة او بهدف تحقيق مصالح فقط.

و من هنا تظهر ضرورة خضوع البحوث التي تدرس الواقع الاجتماعي العربي للتصورات و المسلمات التي تحكمه، و ليست للتصورات او النظريات الاخرى التي نشأت في بيئة مختلفة، حتى يتحقق الفهم العلمي الصحيح للظواهر التي تتغير باستمرار، ومن ذلك ظاهرة.

المصدر: عبد الله بوصنوبرة: نحو مدخل نظري لفهم الواقع الاجتماعي العربي

اشكالات مطروحة في السوسيولوجيا-العربية و الغربية-

1-عند الغرب:

عرف علم الاجتماع في مرحلته التأسيسية نماذج تفسير تستقي قوامها النظري من مدارس معلومة نحو: المدرسة الوضعية كونت و المدرسة الشيئية دوركايم و الماركسية ماركس و مدرسة المعنى فيبر و المدرسة الوظيفية بارسونز، و بالرغم من اختلاف هذه المدارس حول جملة من المفاهيم إلا انها تتشارك في النهاية في ان المجتمعي –الظاهرة-النسق-النظام-البنية- يختلف بحيث طبيعته عن طبيعة الافراد الذين يشكلونه اي ام المجتمعي يشكل كلا من الفرد، او ان الفرد هو نتاج من نتائجه و ان لا تناقضا بين المجتمعي الفردي هو مبدع و خلاق في اطار المجتمعي بالذات.

لكن امام التحولات العولمية المعاصرة اثمة اكاديمي رأى ان علم الاجتماع في بلدان الغرب يشهد ازمة كبيرة تتمثل في تخلف تلك النماذج العائدة للمدارس المذكورة عن مواكبى التحولات العميقة التي تعصف في جوف الهياكل المجتمعية الغربية و لذلك كان على هذا العلم ان يستنبط ادوات معرفية جديدة من اجل

مقاربة و تفسير التحولات الهيكلية المستولدة من ظروف العزلمة، و مما استولدته اشكال ممارسة العلم في الغرب مفهومين رئيسين:

-الاول: الفردنة او للدقة التذرير ويعني انفكاك الفرد عن روابط مجتمعه، و هو ما نتج عن تفكك المجتمع و بسبب العولمة المعاصرة او ان المجتمعي هو جمع من الافراد و لا يشكل كلا مختلفا عنهم الامر الذي جعل بعضهم يتحدث عن نهاية المجتمع او عن نهاية تصور عنه كان يستلهم مادته من نماذج التفسير الكلاسيكية فجأة التصور الجديد من نهاية المجتمع لصالح الانتظام الفرادي و المعولم.

-الثاني: المجتمع الشبكي او بمعنى اخر المجتمع الرأسمالي ذو التقانة المتطورة و هو مفهوم نتج من مقارنة التأثيرات التقنية تكنولوجيا الاتصال و المعلوماتية و غيرها في طبيعة الهياكل المجتمعية و اليات اشتغالها.

و هذا ما ادى بالتالي الى بروز العلاقات الشبكية داخل هذه الهياكل التي اخذت تتصدع و تفقد تماسكها البنيوي فاستولدت في ضوء ذلك الفردانية الشبكية او الفردانية الجذرية المتعالية على اي رابط مجتمعي.

هنا يتضح من هذين المفهومين يقعان على النقيض مما جاءت ي به نماذج التفسير لعلم الاجتماع في مرحلته التأسيسية و خاصة حول علاقة المجتمعي بالفردي، إذ لما تقادمت او تخلقت تلك النماذج برأي ذاك البعض عن مواكبة المتغيرات المجتمعية المعولمة، التي أدت إلى تفكيك المجتمعي و انحلال روابطه تغلب الفردي على المجتمعي و أصبح الانتظام الفرداني هو الموضوع الرئيسي في كل مقاربة سوسيولوجية معاصرة.

ان اشكال ممارسة العلم في الغرب ليس في مكنتها مهما ابتدعت من مفاهيم جديدة ان تقطع جذريا مع نماذج التفسير التأسيسية لأنها جاءت بمعادلة راسخة وهي أنها بنت موضوع العلم، و أثبتت أم علم الاجتماع لا يقوم و لا يستمر إلا بالمجتمعي بالذات، و عليه فان كل محاولة او مقاربة آيا يكن جديدها المعرفي لن نستطيع أن تتفلت جذريا أو أن تتجاوز كليا هذه المعادلة.

2-عند العرب:

اذا كانت ازمة علم الاجتماع في الغرب قد وجدت الى هذا الحد او ذاك مخارج لها في أشكال ممارسة العلم، فان أزمة هذا العلم في البلدان العربية تتموضع في دائرة شبه مقفلة، و هي قد تموضعت بهذه الصورة، لان علم الاجتماع في هذه البلدان انطبع من ان انتقل اليها من الغرب في العشرينيات القرن 20 مع نقولا حداد حتى طوره الراهن بطابع النقل و الترجمة، إي انطبع بمنهج إسقاط معاني العلم الكبرى، و محاكاة أشكال ممارستها في حقل مجتمعي و تاريخي مخصوص هو العقل العربي، فن اغلب من علماء الاجتماع العرب لم يتعرف الى تتلك المعاني بل نقل اشكال ممارستها كما يلهي لدى بعض علماء الاجتماع في الغرب، في حين أن المعاني بالنسبة الى هؤلاء الآخرين أصبحت بحكم البداهات التي لا يسال عنها و لا ترد في أشكال ممارستهم للعلم، لأنها قد حسمت في معرفتهم السوسيولوجية منذ عقود طويلة.

و هذا نجد باحثا سوسيولوجيا عربيا يطرح في مطلع بحثه سؤال الانطلاق ثم نسأله لماذا هذا السؤال لن تسمع منه إلا جوابا واحدا هو : لقد استخدمته عالم الاجتماع الغربي في اطار نموذج تحليلي اي انه نقل شكل ممارسته السؤال و نموذجه ثم ترجمته الى العربية من بدون ان يدرك معناه القبلي.

فسؤال الانطلاق هو سؤال مؤقت يخفي التناقض في الاتجاه التجريبي بين نظريته في المعرفة التي ترجع إلى الملاحظة، و بين ممارسة التي تنطلق من الفكرة، و لكي يجري حل التناقض المذكور، طرح السؤال بصيغة المؤقت من حيث هي شكل توفيقي بين نظرية المعرفة التجريبية و ممارستها ، و هذا الحل

يدرك معناه بالطبع عالم الاجتماع في الغرب، فيأتي سـؤاله محكوما بديمومة الموضـوع الذي اختاره في البحث في حين ان الباحث العربي بلا يدرك معنى الحل، فيكون سـؤاله ظرفيا قد يتغير في المسـار البحثي الى سؤال جديد حول موضوع نفسه و ذلك بسبب النقل و الترجمة.

كذلك هي الحال مع الباحث نفسه حين يطرح الا شكالية في صيغة سؤال او ا سئلة و عندما نطلب اليه ان يفسر لماذا صيغت الاشكالية سؤالا او المجموعة أسئلة يجيبك بأنها وردت على هذا النحو في القواميس الغربية او انها اسـتخدمت هكذا لدى الباحثين الغربيين و في الحالتين يكون قد نقل احد اشـكال ممارسـة الاشـكالية في الغرب من دون أن يعي معناها العلمي، فالإشـكالية تقع في حقل الاختلاف النظري بين الباحثين و تشـكل رؤية نظرية مجردة تأخذ بها الباحث و تحكم المسـار البحثي كله او بمعنى اخر تشـكل النسـخ الداخلي لكل محطات البحث، و هذا المعنى هو من قبل البداهة لدى الباحث الغربي فحين يطرح الا شكالية قفي صيغة سؤال يضمن سؤاله معناها العربي، حين يطرح الإشكالية في صيغة سؤال يضمن سـؤاله معناها العلمي، أما باحثنا فيكون سـؤاله اما وصـفيا خيريا او حكما تقريريا و هنا يكمن الفراق المنهجي بين من ينتج المعرفة و يحسـن اشـكال ممارسـتها و بين من ينقلها او يترجمها و يعاني فوضـى المنهجية و الممارسة.

و ما ورد حول سـؤال الانطلاق و الاشـكالية ينطبق بدوره حول المنهج ،فباحثا يأخذ بالمعنى الإجرائي للمنهج، فيعرفه بأنه السبيل المنهجي الذي يقوم على جملة من الممارسات الإجرائية و التقنية، و حين تلفت نظرة بان السـبيل المنهجي موجود في كل المناهج السـوسـيولوجية و غير السـوسـيولوجية، و هو بذلك لا يعود بشكل منهجا قائما بذاته، فالمنهج هو المنحى او المنطق في رؤية الامور الذي يمكن الباحث من اتخاذ الموقف العلمي الملائم في كل وضـعية ملموسـة، و الحال يتوقف على هذا المعنى طبيعة الممارسـات الإجرائية و التقنية، و حدودها و في المقارنة بين باحثنا و الباحث الغربي يظهر ان الاول اختزل المنهج بالسـبيل المنهجي لأنه لم يتعرف إلى المعنى العلمي للمنهج، و أن الثاني حين يسـتخدم معنى السـبيل يكون اسـتخدامه مشـمولا بالمعنى العلمي للمنهج، و لذلك نراه يتوصـل في ابحاثه إلى إنتاج مفاهيم جديدة، بينما يقتصر جهد باحثينا على نقل تلك المفاهيم واستخدامها اسقاطيا في حقله المجتمعي.

و في العمل البحثي نجد ايضـا باحثا نقل المفاهيم المدرسـة الوظيفية و ترجمتها إلى العربية، و مما جاء في ترجمته ان هذه المدرسـة تهمل مفهوم الصـراع المجتمعي و تعلى في شـان مفهومي التوازن في النسـق و الديمومة.

و عندما يختل هذا التوازن و هو ما يسمى في الترجمة التعطل الوظيفي، يقوم النسق الثقافي بإعادة التوازن الى النسق المجتمعي و تترسخ بالتالي ديمومته البنائية.

و في ضـوء هذه المفاهيم قارب باحثنا واقعه المجتمعي بعد ان قرتها بمفهوم الثقافوية ، فراح يقف على الانتظامات الطائفية في هذا الواقع حيث وجد في الطوائف طبيعة ملازمة للبلد بالذات، ذلك أنها تمثل في نظره جماعات مسـتقلة لكل منها ثقافتها الخاصـة التي اختزلها الى حد بعيد اما بالدين أو بالمذاهب ، لذلك كان من الطبيعي ان ينشا التوازن فيما بينها على قاعدة مفهوم التعايش الطائفي الذي يمثل الديمومة البنيانية للنسـق العام، الأمر الذي جعله يلقي الحزم على كل دعوة الى التغيير لأنها تؤدي برأيه الى كسـر هذا التوازن من خلال غلبة بعض الطوائف على البعض الاخر.

المحاضرة الثالثة: النظرية الخلدونية

-ابن خلدون والايديولوجيا:

لقد فطن ابن خلدون الى ان هناك طائفة من الظواهر لا تنتمي الى العلوم المادية، و لكنها تنتمي الى الاجتماع الانساني وحدة و انها تنشا عن هذا الاجتماع بحكم طبيعته لا بأي مصدر خارج عن الاجتماع و قد اطلق عليها اسم واقعات العمران البشري، كما ادرك خصائصها و هي انها حتمية و انها خارجة عن شعور الفرد.

و لقد اعتمد ابن خلدون في دراسته للمجتمعات العربية و البربرية على:

--ملاحظة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات التي زارها وعاش بين اهلها.

-تعقب الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها، و لكن في العصور السابقة لعصره.

-تعقب اشباهها و نظائرها في تاريخ الشعوب اخرى لم يتح له الاحتكاك بها و لا الحياة بين اهلها.

-المقارنة بين هذه الظواهر و جميعا و التأمل في مختلف شؤونها للوقوف على خصائصها و ما تؤديه من وظائف في حياة الافراد و المجتمعات و علل اختلافها و قوانين تطورها.

-استخلاص القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر.

و هكذا يتضح ان ابن خلدون قد اقم منهجه العلمي على ملاحظة و المقارنة و التأصيل التاريخي ثم عمليات عقلية يجربها على المادة العلمية المتوصل إليها فيحللها و يفسرها و يصل بصددها الى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

و من العلماء الذين ايدوا ابن خلدون:

-كولوزيو و فارد: ابن خلدون اول من قتل بمبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية و اشار الى جبرية في الظواهر الاجتماعية.

-سميث: ابن خلدون قد تقدم في علم الاجتماع الى حدود لم يصلها كونت نفسه في النصف الاول من القرن19 .

-باتسببيفا: يدخل ابن خلدون الى دائرة العظماء من خلال هي نظريته التاريخية الاجتماعية في مواقفها المادية الاساسية.

-ايف لاكوست: الذي يعتبر ابن خلدون رائدا للمادة التاريخية.

وقد أصلت نظرية ابن خلدون إشكاليات علم الاجتماع إلى ثلاثة أقسام وهي:

حاجة الإنسان للاجتماع والعمران: إن الإنسان مخلوق اجتماعي مدني بطبيعته، وان قوْته وأمانه لا يتحقق بقدرات شخصية فهو بحاجة إلى تكاتف جماعي مع بني جلدته ليحافظ على ديمومته وبقائه وقوْته، فالاجتماع والعمران حاجة بشرية، ولكنها بحاجة إلى ما يشد هذا النسيج الاجتماعي، وبحسب ابن خلدون هو "المُلْك."

حاجة الإنسان إلى دولة لانتظامه وعمرانه: تعتبر الدولة الحاضن الوحيد **لاستقرار العمران** ويدور في محورها الاجتماع البشري، فتحدث بشكل مفصل ومطول عن نشأتها وازدهارها وهرمها ووهنها ثم

انقراضـها، فالدولة بحسب نظرية ابن خلدون مقومة **العمران** وهي الحافظ لوجوده، ولكنه اعتبر أيضًـا أن الدولة امتداد زماني ومكاني لعصبية ما.

فاعلية العمران ودور العصبية في ضبطه: لم يختلف الباحثون في أن نظرية ابن خلدون أساسها العصبية، وأن نظرته تمحورت حول بلاد المسـلمين وكانت مصـدر تفسـيره للقوة التي حركت العمران والدولة، فتحدث عن اللحمة والنسب وعن العصبية وغاية العصبية، وعن علامات المُلك وطبائع المُلْك، وغير ذلك من مقومات العصبية وأطوار الدولة والترف والانقياد والفساد وخراب العمران.

ابن خلدون والدراسات الاجتماعية.

أشـار معظم الباحثين أن ابن خلدون هو مؤسـس علم الاجتماع، حيث اسـتطاع أن يسـبق العلماء المؤسسين لعلم الاجتماع الغربي المعاصر بسنوات طويلة، والذين كان منهم أوجست كونت (بالإنجليزية : Auguste comte)، وسبنسر (بالإنجليزية(Spencer :، ودوركهاي (بالإنجليزية(Durkheim :، وفيبر (بالإنجليزية(Max weber :، كما يرى المؤرخ البريطاني توينبيّ أنّ تفوّق ابن خلدون ظهر بشـكل كبير في مقدمته المشـهورة فيما يظهر لقارئها من عمق في البحث، وقوة في التفكير، لا سـيّما أنّه اسـتطاع أن يكتب عن علم العمران البشـري بطريقة لا يمكن التميز بينها وبين فن التاريخ، وذلك لأنّ فهم القواعد والأصـول لا يتم إلّا بعلم العمران، حيث يُعرَف عن عِلمَي العمران والتاريخ تقاطعهما في الكثير من المناحي، كما تقاطع المنطق والفلسفة.

كما أطلق ابن خلدون مصـطلح العمران البشـري لدلالة على علم الاجتماع، حيث يُعرّف علم الاجتماع بأنّه علم يختص بدراسـة الحياة الاجتماعية والسـلوك الإنسـاني داخل الجماعات الإنسـانية، ومن أبرز المفاهيم الخاصـة بعلم العمران البشري والتي تقود لعلم الاجتماع مفهوم العمران وهو فنٌّ حديث الصـنعة، ومفهوم الجاه الذي يظهر عند صـاحب المال والسـلطة، والعصـبية وهي الرابطة التي تؤدي إلى تماسـك الجماعات البشـرية، ومرادفها في علم الاجتماع المواطنة، أوالتكافل، أوالتماسـك الاجتماعي ومن المصـطلحات الأخرى المتّصـلـة بهـذا العلم البـدو، والبـدواة، والتمـدّن وغيرهـا الكثير.

ويرى كثير من الباحثين إن علم العمران الخلدوني ينطبق تماما على الدراسـات الاجتماعية الحديثة باسـم السـوسـيولوجيا و أن المنهج الذي سـلكه هو منهج وضـعي تجريبي، كما أن الغاية منه هي دراسـة الظواهر الاجتماعية بغية الوصول إلى القوانين.

و أن علم العمران الذي وضع أسسه ابن خلدون في المقدمة يتجلى في ثلاث حركات للوعي، الوعي بالذات في إطار وعي بحركة الدول التاريخية التي تنظم و تهيكل المجتمع، و كل هذا في ارتباط بوعي كلي يربط الإنسـان و حركة الدولة بالكون بأكمله في إطار الوعي الكوني؟، فالمعنى الحقيقي لعلم العمران يجب بحثه في إطار الحركات الثلاث للوعي بالذات و الدولة و الكون .

-أشـار عدد كبير من الباحثين العرب في السـنوات الأخيرة إلى أهمية نظريات ابن خلدون الاجتماعية و فائدة الاعتماد عليها لفهم واقعنا الاقتصادي و الاجتماعي.

و قد لخص الدكتور الوردي موقفه في مهرجان ابن خلدون القاهرة 1962 و يبدو أن ابن خلدون اتجه إلى الصراع و المقابلة بين البدو و الحضارة و بين الإسلام و القبيلة و بين رابطة النسب و الرابطة الثقافية في تطور المجتمعات العربية الإسلامية.

و قال الدكتور الوردي أن علم الاجتماع الخلدوني اقرب إلى فهم مجتمعنا العربي الراهن من علم الاجتماع الحديث إذ هو يدرس ظاهرة التفاعل بين البداوة و الحضـارة و هي ظاهرة موجودة في مجتمعنا منذ بداية تاريخية و التي لم يعد بدراستها علم الاجتماع الحديث عناية كافية، و نحن لا نستطيع أن نفهم طبيعة

مجتمعنا و تاريخه دون الرجوع إلى هذه الظاهرة ندرس أثرها في تكون شـــخصـــياتنا و حضـــارتنا و حل المشاكل و من أواخر القرن 17 إلى يومنا هذا لم يزدد اهتمام المسلمين بآراء بابن خلدون و كثيرا ما تواكب فيه النزعة السياسية في الإصـلاح و المقاصـد العلمية المجردة، الأمر الذي شكا بعضـهم أثره في الدراسات الخلدونية ومما لا شطك فيه أن اختلاط الغايات العلمية بالمقاصد السياسية قد يجر إلى الالتباس في المواقف و بيان الحقائق.

و أن اقتباس المنهج و النظرية من المقدمة مشروع مفيد على شرط أم لا تقتصر على نظرية ابن خلدون و لا منهاجه لدراســة مجتمعنا و مشــاكله الحاضــرة و هذا الاحتراز يدرك وجوبه بالبديهية و بالرجوع إلى أصـــلية من أصـــول البحث العلمي الحديث أن نظريات قلما تكون قادرة على اســتيعاب كل شـــيء بان النظريات تلخص ما وصل إليه تفكير عالم أو جيل من العلماء قصد مراجعته و نقده و تصحيحه.

-ابن خلدون و علم الاجتماع الإسلامي:

لقد شهد عصر ابن خلدون صراعا سياسيا غفي اخل الدولة الإسلامية القائمة على اثر دخول البربر و غيرهم من غير العرب إلى الدولة الإسـلامية و حملهم بالصـيغة الإسـلامية فقام ابن خلدون بكتابة رسـالته للدفاع عن الدولة القائمة و محاولة اســتبعاد طرف غير عربي لقيادة الأمة الإســلامية في ظل تلك الدولة القائمة و و يقول ابن خلدون أن الدعوة الدينية تؤيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت في عددها حيث يوضــح كيف تســتمر القيم الروحية بالربطة الاجتماعية الطبيعية الموجودة ذلك أن الصــبغة الدينية تذهب التحسد الذي في أهل العصبية و تفرد الوجهة إلى الحق .

-النظرية القرآنية في علم الاجتماع:

إن الرسالة الإسلامية وليدة مصدر مطلق ينظم شؤون الكون و الإنسان و النظام الاجتماعي.

-تحقيق العدالة الاجتماعية و معالجة الانحراف الاجتماعي.

-أمنت النظرية القرآنية بعدالة و توزيع الثروة الاجتماعية.

-النظرية القرآنية تعتبر الحقيقة العلمية اليقينية .

-القراءة الخلدونية للواقع الجزائري:

ظهر عامل العصبية في تاريخ الجزائر المعاصر من خلال اتجاه ديني و مظهر وطني و أسلوب سياسي موجه لطرد المستعمر و تحقيق الاستقلال، فاستطاعت هذه العصبية تحقيق ذاتها بالحصول على الاستقلال الذي يمثل العصبية في مفهوم الخلدوني، و كانت قد انطلقت في عملها لظروف خارجية و معطيات داخلية من توجهين فكرتين أسـاسـيتين ميزا السـاحة والسـياسـية و الثقافية للجزائر، و هذه الاتجاهات هما الاتجاه الإصلاحي و الاتجاه الاندماجي.

و انطلاقا من هذين الاتجاهين الأصـــيل و المغترب عرفت الجزائر إحداث 8 ماي 1945 فكانت بداية التغير و تكوين المنظمة الخاصـــة فاختفت الأحزاب و جاءت الثورة و تحقق الاســتقلال و توجه الاهتمام نحو البناء و بذلك تحققت المرحلة الخلدونية الأولى و متمثلة في انتصار العصبية و المتمثلة في الاستقلال .

-مراحل نشوء العصبية حسب الفكر الخلدوني في تاريخ الجزائر هو:

1-المرحلة نشوء العصبية: 1945-1965 .

2-مرحلة العظمة آو فترة الملك العضود1965-1985 .

3-مرحلة انحلال العصبية1985-2005 .

المحاضرة الرابعة: الأعمال الامبريقية الكبرى في السوسيولوجيا المحلية

1-علم الاجتماع المحلي ...العربي:

إن علم الاجتماع يدرس علاقة وسلوك الناس والأفراد ضمن المجموعات التي تحيط بهم كالأصدقاء والعائلة والمجموعات الإثنية، وخصوصاً علاقتهم بالسلطات الأبوية (كالحكومة مثلاً .) ويعمل على فهم قضايا المجتمع شرط الابتعاد عن التنظير، في هذا السياق تؤكد لنا الشواهد العلمية الامبريقية أن علم الاجتماع العربي يفتقد لفضاء إقليمي، من هنا تأتي أهمية ربطه بالعالم ونخص بالذكر علم الاجتماع الغربي . لذلك فعلماء الاجتماع العرب في حاجة إلى الاندماج الإقليمي ليصبح لديهم مجموعات علمية اجتماعية نا شطة في العالم العربي وفي نفس الوقت على صلة بالعالم، تخرج الباحث العربي من قوقعته وهذا لتطوير البحث العلمي العربي الذي لا ينجح إلا ضمن المجموعة أي التلاحم في الافكار والمعطيات السوسيولوجية.

وفي هذا السياق أكد الباحث ساري حنفي، أن الباحث في العالم العربي ينقسم إلى ثلاث فئات رئيسية:

الأولى تتمثل في فئة علماء الاجتماع الذين لا يهتمون بإنتاج المعرفة المحلية، ويكتفون بإنتاج المعرفة العالمية تحت شعار" أنشر عالمياً وأندثر محليّاً"، على عكس الثانية التي تهتم بإنتاج المعرفة المحلية، وهي فئة محدودة، لا يرتبط إنتاجها بتطور علم الاجتماع وترابطه بالقضايا الاجتماعية حول العالم، وهو أمر غير مفيد.

أما الفئة الثالثة، فتنتج معرفة ليست محلية ولا عالمية، وتكتفي بالخطاب التبسيطي، وهو لا يختلف عن الخطاب الصحافي الذي يهتم بالتحليل السريع والضروري كالحوادث والكوارث...

نما علم الاجتماع في الوطن العربي بصورة سريعة وا ستطاع تعريف مو ضوعاته وأهدافه وامكانياته.

واذا قيست الفترة الزمنية التي رسخ فيها هذا العلم في الجامعات المصرية والعربية مقارنة بعدد خريجيه، لعد ذلك تقدما ملحوظا لم يصل إلى نظيره في الجامعات الغربية والشرقية في الفترة ذاتها. كما شهد علم الاجتماع في تطوره الأكاديمي التنظيمي مراحل توسع ضخمة تركز أكثرها خلال السبعينيات حيث افتتحت أقسام عديدة لعلم الاجتماع في الجامعات العربية، سواء في مصر على امتداد رقعتها من القاهرة حتى أسوان، أو على امتداد الوطن العربي من الكويت وبغداد والدوحة والامارات شرقا حتى فاس والرباط غربا مرورا بكل الجامعات الكبيرة والصغيرة حتى تلك الجامعات الدينية كجامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.

ألقيت أول محاضرات في علم الاجتماع في مصر في عام 1908 وهو عام تأسيس أول جامعة أهلية في مصر، وكانت الفترة من 1924 إلى 1936 هي فترة التحول التدريجي لما يسمونه بعلم الاجتماع العلمي . وبفعل تأثير الأفكار التي حملها **رفاعة الطهطاوى** والاحتكاك بالغرب في الحرب العالمية الأولى، تدفق إلى مصر، كم هائل من الأفكار الجديدة التي قال عنها رجال الاجتماع أنها تحدت الأفكار القديمة وأعدت لمرحلة الانقطاع عن الماضي.

و شهد عام 1924 تأسيس الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) كجامعة حكومية حلت محل الجامعة الأهلية .ألقيت في هذه الجامعة أول محاضرات منظمة في علم الاجتماع، ومع تأسيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة في منتصف العشرينيات شهدت مصر أول برنامج منظم في علم الاجتماع .أما أول كراسي الأستاذية في علم الاجتماع في مصر، فقد شغلها بالطبع أساتذة أجانب بارزون، فشهدت هذه الفترة انتشار أفكار الفلسفة الوضعية لأوجست كونت والمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع والمدرسة الأنثروبولوجية البريطانية والأفكار التحررية السائدة في الغرب.

وهذا ما ينطبق على دول العالم العربي ككل، فبداية علم الاجتماع فيها كانت ولا تزال غربية، وهذا رأي أغلبية العلماء.
ويؤكد عبد الحليم مهو رباشة في كتابه" **علم الاجتماع في العالم العربي** "أن علم الاجتماع العربي يعاني من التعبئة المعرفية للحقل الغربي أي انها ازمة ابستيمولوجية في اساسها وليست فقط أزمة أكاديمية، فهو يرى أن نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي لم تكن خاضعة لضوابط معرفية وقواعد منهجية صارمة، فقد أكد ان بعض الباحثين يرون أن علم الاجتماع العربي يفتقد إلى الطرح الاستشكالي للقضايا الاجتماعية بمعنى انه لم ينطلق من فرضية عربية محددة ذات معنى .وهذا ما أثر سلبا على سيرورة وتقدم البحث في هذا العلم.
لكن في الاخير هذا لم يمنع من وجود علم اجتماع في الوطن العربي حاول ولا يزال يحاول لتفسير الواقع الامبريقي العربي.

2-أهم الاعمال الامبريقية في الوطن العربي:

أكدت العديد من الابحاث النظرية والامبريقية تطور البحث السوسيولوجي العربي من خلال العديد من المواضيع والمشاكل والاحداث التي حدثت في العالم بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة من بينها الارهاب المعنوي والمادي وكذلك العنف بأنواعه " الاسري، المدرسي"... ، مشكلة الهوية والمواطنة خاصة تزامنا مع العولمة والتطور التكنولوجي الذي عرفه العالم ككل.
أما بالنسبة لأهم الأعمال الميدانية في الوطن العربي التي يحاول أغلبية العلماء تحليلها وايجاد حلول لها، لما لها من تأثيرات سلبية على الفرد والمجتمع نذكر منها: المخدرات، العنف ضد المرأة، عمالة الأطفال، البطالة، الجريمة....
والعديد من القضايا التي يعمل العديد من الباحثين العرب على فهمها وعلاجها من خلال أبحاث أكاديمية .
لكن حسب الباحث" ساري حنفي "دائما فإن نتائج هذه الابحاث لا تزال بمرجعية غربية وهذا لان
علماء الاجتماع العرب يعانون من عدم وضوح الرؤية في النظرية وفى البحث الاجتماعي، وأنهم يميلون في معظم الأحيان إلى نقد كل ما يطرح في المجتمعات الغربية دون التوصل إلى نظرية للمجتمع العربي وان إشكاليات بحوثهم لا تمت بصلة إلى الواقع المجتمعي العربي.

مراجع:

عبد الحليم مهورباشة، **علم الاجتماع في العالم العربي" من النقد إلى التأسيس** ."عمان: مكتبة الاردن عمان، 2017.
السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، بيروت لبنان : دار النهضة، 1985.
عبد الرزاق المكي، **الفكر الفلسفي عند ابن خلدون** .القاهرة :دار الفكر العربي، 1970.
محمد عبد الجابري، **العصبية والدولة** .الدار البيضاء :الريشة، 1971.
محمد عباس ابراهيم، **الانثروبولوجيا مناهج وتطبيقات** .الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 2000.
كما تم النقل من بعض محاضرات الاساتذة من جامعات الوطن.